

الوافي في الوفيات

قل لهذا الوزير قولَ مُحرقٍ ... بثَّهُ الذُّمُّحَ أَيَّـمَما إِبْثاثٍ .
قد تقلَّـدَتْـها ثلاثاً ثلاثاً ... وطلاقُ البنات عند الثلاثِ .
وفيهـم يقول الصولي : .

ذلَّـل الدهرُ آلَ الفراتِ ... ورماهـم بفُرقةٍ وشتاتٍ .
ليت آلَ الفراتِ عُـدُّوا جميعاً ... قبلَ ما قد رأوه في الأمواتِ .
فلعـمري لراحةُ الموت خيرُ ... من صغارٍ وذلَّـةٍ في الحياةِ .
لم يزالوا للملـك أنجـمَ عزٍّ ... وضياءٍ فأصبحت كاسفاتٍ .
ومما قيل فيهم : .

يا أيها اللـاحـزُ الضنينُ بمالهـ ... يحمي بتقطيبٍ قليلٍ نوالهـ .
أوـما رأيتَ ابنَ الفراتِ وقد أتى ... إدبارُهـُ من بعد ما إقبالهـ .
أيامَ تطرقُهـ السعادةُ بالمنى ... وينال ما يهواهـُ من آمالهـ .
فخلا من الذُّـمى وأصبح يشتكي ... أقياده ألماناً على أغلالهـ .
وكذا الزمانُ بأهلهـ متقلِّبٌ ... فاسمح لما أعطيتَ قبل زوالهـ .

روى ابن النجَّار في ذيله بسنده إلى أبي الذِّـصـر المفضَّل بن علي الأزدي كاتب المقتدر ومؤدِّبه أنه حضر مجلس أبي الحسن بن الفرات وعن يمينه أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجرَّاح وعن يساره القاضي أبو عمر محمد بن يوسف وقد تأخَّر حامد بن العباس عن الحضور فقال الوزير : أتعلمون السبب في تأخر حامد ؟ فقالوا : لا . قال : ولكنَّـني أعلم سبب ذلك ؛ انصرف البارحة مساءً وداره بعيدة فأبطأ على جاريته فلمَّا وصل استقبلته وقبلت جبينه وقالت : يا مولاي أقلقنتني بتأخُّرك فما الذي بطَّأ بك ؟ فقال : موافقة الوزير - أعزَّـه - على الحساب . فقالت : يا مولاي حسابُ في الدنيا وحساب في الآخرة حملٌ عنك . ثمَّـ نزعـت خفَّـيه وقدَّـمت نعليه وأفرغت عليه دست ثياب قد بخَّـرتها وأخذت ثيابه عنه وقدَّـمت إليه الطَّهور . فلمَّا صلى المغرب وعشاء الآخرة قدَّـمت إليه طبقاً تولَّـت لغيبته ألوانه وقد وقفت مع الطبخاة تحرَّـياً لنظافتها وأخذت تلقمه وتأكـل منه ثمَّـ تولَّـت غسل يديه وقدَّـمت إليه الشراب وأصلحت عودها فشرب ثلاثة أرطال وشربت مثلها واعتبقا . فلمَّا أصبح دخل الحمام وخرج فسقته من الجلابب بالثلج ما قطع خماره وقدَّـمت إليه طبقاً من المحمَّـضات ألواناً طيِّبة وهو الآن يأكل . ثمَّـ قال : غسل يده ولبس ثيابه . ثمَّـ قال : ركب وتوجَّـه إلينا . ثمَّـ لم يزل ينزله الطريق إلى أن قال : هو في

الدهليز . ثمَّ قال : يدخل حامد . فرفع الستر ودخل حامد . فلمَّ رأينا ما تمالكنا أن
ضحكنا . فلمَّ سلَّم وأخذ موضع جلوسه قال : ما الذي أضحككم عند مشاهدتي ؟ قلنا : صدَّ
حدس الوزير فإن شئت اقتصناه . فقال : تفصَّلوا . فاقتمصنا ما جرى بأسره فتحيَّـر ثمَّ
قام على قدميه وحلف باٍ - جلَّت أسماؤه - لولا أنَّـه يعلم أن الوزير أعف خلق اٍ لقدَّـرت
أنَّـها هي حدَّـثته ما جرى ؛ فما أخلَّـ بشيءٍ منه . فضحك الجماعة فالتفت الوزير إلى علي
بن عيسى فقال : يا أبا الحسن ما أنفع الأشياء للمخمور حتَّى ينجلي خماره ؟ فقال : واٍ
ما عاقرتُ عليها ولا سكرت منها ولا أعرف داءها ولا دواءها فأعرض عنه والتفت إلى القاضي
أبي عمر فقال : أيَّـها القاضي أفتننا فيما سألننا عنه أبا الحسن - أعزَّـه اٍ - فلم
يجبنا . فقال القاضي : نعم أطال اٍ بقاء الوزير ؛ قال سبحانه وتعالى : " وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهؤا " وقال رسول اٍ صلَّى اٍ عليه وسلَّم : " استعينوا
على كلِّ صناعة بأهلها " . ووجدنا المقدَّـم في هذا الأمر والمُـجْمَع على اختصاصه به أبا
نواس الحسن بن هانئ ووجدناه يقول في هذا المعنى : .
داوِـ ماري من خُـماره . . . بابتة الدنِّ وقارِـه ° .
من شرابٍ خُـسِرَـويٍّ . . . ما تعنَّـوا باعتصارِـه ° .
طبختهُ الشمس لمَّا . . . بخل العِلجُ بنارِـه ° .
فنرى - وباٍ توفيقنا - أن من تناول منها شيئاً قطع به الخمار وكسر سَـورته . فقال
الوزير لأبي الحسن : أما كنتَ بهذا الجواب أولى للطف الكتَّاب ودماثتهم ؟ ولكن أبا اٍ
إلاَّـ أن يدلَّـ على فضل قاضي القضاة ولطف نفسه وحسن استخراجهِ وقوة حسِّـهِ وكمال فتِّـوته .
الشيخ علي بن نبهان